

التفريع الدلالي في الفكر اللساني العربي القديم

Branching semantics in ancient arabic linguistics

مهدي فاطمة

المركز الجامعي أحمد زبانة. غليزان

Fatimamahdi940@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/01/05

تاريخ القبول: 2019/10/21

تاريخ الاستلام: 2019/10/11



ABSTRACT:

ملخص البحث

Derivation is one of the most important characteristics of the Arabic language which I have adopted in generating vocalizations that made it richer in vocabulary and able to accommodate to up-to-date life.

Arab derivatives have a permanent contact with their connotations by their original derivatives which suggest to connotation of those original connotations that branched from them. These sub-connotations may sometimes look disconnected with the original semantic/meaning of the linguistic root, but if we look closely and follow the uses of this root, we shall realize that meaning which collects what is termed by semantic branching.

Keywords: Connotation - branching-original - derivatives – root - language.

يعد الاشتقاق من أهم خصائص اللغة العربية الذي اعتمدت عليه في توليد الألفاظ مما أكسبها ثراء في المفردات وجعلها قادرة على استيعاب مستجدات الحياة. والمشتقات العربية بدلالاتها دائمة الاتصال بأصلها الاشتقائي الذي يوحى إلى دلالة أصل تجمع تلك الدلالات المتفرعة عنها، وقد تبدو هذه الدلالات الفرعية في بعض الأحيان منقطعة الصلة بالدلالة الأصل للجذر اللغوي، لكن إذا ما تمعنا وتبعنا استعمالات هذا الجذر ندرك ذلك المعنى الأصل الذي يجمعها وهذا ما يصطلح عليه بالتفريع الدلالي.

كلمات مفتاحية: الدلالة، التفريع، الاشتقاق، الأصل، الجذر، اللغة

مجلة لغة – كلام / مختبر اللغة والتواصل / المركز الجامعي – غليزان (الجزائر)

ارتبط وجود اللغة بوجود الإنسان ونشأته، فكانت ولا تزال وسيلة اتصال بين أفراد المجتمع يعبرها الفرد عن أفكاره ليسير أمور حياته فتكون وظيفتها منحصرة في التعبير من أجل التواصل وهي بهذا ذات طابع اجتماعي، ولكل لغة ميزات تنفرد بها عن بقية اللغات ولعل أهم ما يميز اللغة العربية عن غيرها أنها ذات طابع تصريفي اشتقائي توليدي من حيث الألفاظ والصيغ مما يضمن حيويتها واستمراريتها. وظاهرة الاشتقاق من أهم خصائص اللغة العربية ومن أهم الوسائل التي اعتمدت عليها في توليد الألفاظ مما أكسبها ثراء في المفردات وجعلها قادرة على استيعاب مستجدات الحياة من أفكار وعلوم وفنون.

و المشتقات العربية دائمة الاتصال بأصلها الاشتقاقي الذي يحيل إلى دلالة تجمع ما تفرع من دلالات مختلفة لتلك المشتقات التي قد تبدو في بعض الأحيان أنّها منقطعة الصلة بالدلالة الأصل للجذر اللغوي، لكن بقليل من التمعّن و التدبر في تلك الدلالات الفرعية و استعمالاتها ندرك ذلك المعنى الأصل الذي يجمعها. وقد عالج علماء اللغة قديما هذه الفكرة بل و انطلقوا منها في تأليف معاجمهم باعتبار أن ذلك من عادات العرب في كلامها.

و قبل الخوض في هذا الموضوع لا بدّ من ضبط مفهوم للتفرع الدلالي.

1. مفهوم التفرع الدلالي :

يتطلب تحديد مفهوم التفرع الدلالي معرفة المفاهيم اللغوية و الاصطلاحية لكل من التفرع و الأصل و الدلالة.

1.1 مفهوم الأصل :

لمعرفة معنى الفرع لابدّ من الإشارة أولا إلى معنى الأصل : لأنه لا وجود للفرع في غياب الأصل، و عليه فالأصل من حيث المعنى اللغوي هو : " واحد الأصول، يقال : أصل مؤصّل ... و يقال : لا أصل له و لا فصل؛ الأصل: الحسب، و الفصل اللسان ⁽¹⁾ ". أو " هو أسفل كل شيء، و جمعه أصول ... " ⁽²⁾. و قد عرفه الإمام أبو إسحاق الجويني كالآتي : " هو ما يبنى عليه غيره ... " ⁽³⁾.

إن الجامع بين هذه التعريفات هو معنى " الأساس "، ذلك أن الأس يكون أسفل الشيء عادة، و هو ما يبنى عليه غيره، و بالتالي يكون ما أضيف إلى الأصل شاملا للحسي، كالأساس الذي هو أصل للسقف و الجدار، و أصل الشجرة، أي : طرفها الثابت في الأرض، أو للعقلي، كابتناء المعلول على العلة، و المسبب على السبب ⁽⁴⁾.

اصطلاحا :

أما لفظ "الأصل" في الاصطلاح فله تعاريف باعتبارات مختلفة، منها :

- أولا : أن يكون الأصل بمعنى " الدليل " مثل قولهم : أصل هذه المسألة الكتاب والسنة، أي : دليلهما، و منه أصول الفقه، أي : أدلّته.
- ثانيا : أن يكون الأصل بمعنى " القاعدة "، كقول النحاة : الأصل في الفاعل الرفع.
- ثالثا : أن يكون الأصل بمعنى " الراجح "، كقولهم : الأصل في الكلام الحقيقة؛ أي : الراجح عند السامع هو الحقيقة لا المجاز ⁽⁵⁾.
- رابعا : أن يكون الأصل بمعنى " الاستصحاب "، أي : أن يستمر الحكم السابق على حاله، كقولهم : الأصل بقاء ما كان على ما كان عليه، بمعنى : إن الأمر الثابت في الماضي يحكم عليه في الحاضر بالحكم نفسه حتى يطرأ ما يغير ذلك الحكم ⁽⁶⁾، و هو ما نجده عند علماء الأصول، و نلفيه أيضا عند النحاة، و مثاله : بقاء الأسماء على حالة الإعراب باعتبار الإعراب أصلا فيها حتى يطرأ طارئ يغير تلك الحالة من الإعراب إلى البناء، و العكس صحيح مع الأفعال ⁽⁷⁾.
- خامسا : أن يكون الأصل في مقابلة الفرع، كقولنا : الوالد أصل الولد، أي : هو مادته الأولى. و هناك تعريفات أخرى للأصل باعتبارات أخرى أشار إليها علماء أصول الفقه خاصة ⁽⁸⁾.

2.1 مفهوم التفرع :

لغة :

التفرع هو مصدر للفعل " فرّع " المشتق من الفعل " فرع " فيقال في اللغة: " فرع كل شيء أعلاه، و الجمع فروع "(9) أو هو: " خلاف الأصل، وهو اسم لشيء يبني على غيره "(10).

وفي اللسان: " فرع كل شيء بمعنى أعلاه، و الفراع ما علا من الأرض وارتفع، ... و فرّع الشيء يفرعه فرعاً و فروعاً، و تفرّعه؛ علاه، و قيل: تفرّع فلان القوم، علاهم، ... و يقال: هو فرع قومه، للشريف منهم، ... و أفرع في قومه و فرّع؛ طال، ... و فرّع و أفرع: صعّد، و انحدر، ... و فرّعت في الجبل تفرّيعاً؛ أي: انحدرت، و فرّعت في الجبل صعّدت، و تفرّعت أغصان الشجرة؛ أي: كثرت ... و فرّع بين القوم و فرّق بمعنى واحد "(11).

وجاء في المعجم الوسيط ما يلي: " و فرّع من الأصل المسائل: استخراجها وجعلها فروعاً، يقال: فلان حسن التفرع للمسائل ... تفرّع الشيء: كان ذا فروع ... و يقال: تفرّعت المسائل تشعبت، و تفرّع منه، كان فرعاً له، و تفرّع عليه: ترتب و بنى عليه ... و فروع المسألة: ما تفرّع منها "(12).

ب - اصطلاحاً :

أشار " التهانوي " إلى مفهومه اصطلاحاً خلال شرحه لمعنى " القاعدة " بأنّه استخراج الأحكام عن القضية الكلية التي هي الأصل بتحصيل تلك الصغرى (الأحكام) و ضمّها إليها⁽¹³⁾. ويمكن استخلاص معنى التفرع اصطلاحاً بأنّه: " جعل شيء عقيب شيء لاحتياج اللاحق إلى السابق "(14).

3.1 مفهوم الدلالة :

لغة :

من متطلّبات تحديد مفهوم التفرع الدلالي، الوقوف عند مفهوم الدلالة. فهي من حيث اللغة تعني: " دلّ على الشيء يدلّه دلاً و دلالة، فاندلّ، سدّده إليه ... والدليل ما يستدل به، و الدليل: الدال، و قد دل على الطريق يدلّه دلالة و دلالة و دلولة، و الفتح أعلى ... و الدليل و الدليلي: الذي يدلّك ... و الاسم: الدلالة و الدلالة، بالكسر و الفتح، و دللت بهذا الطريق: عرفته، و دللت به أدل دلالة، و أدللت بالطريق إدلالاً "(15).

و يقول القاضي البيضاوي: " الدليل ما يلزم من العلم به العلم بوجود المدلول "(16)، أو الدلالة هي " طلب الدليل، و الدليل هو المرشد إلى المطلوب "(17). وجاء في المعجم الوسيط ما يلي: " دل عليه وإليه دلالة: أرشد، و يقال: دله على الطريق ونحوه، سدده إليه، فهو دال. و المفعول: مدلول عليه، وإليه ... و الدلالة: الإرشاد، وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه "(18).

من جهة ثانية نجد أن لفظة " دلّ " قد وردت في القرآن الكريم سبع مرات في مواضع مختلفة وهي :

- 1- قوله تعالى: ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ الأعراف، 22.
- 2- وقوله أيضاً: ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ يَبْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ القصص، 12.
- 3- وقوله أيضاً: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ ﴾ طه، 28.
- 4- وقال أيضاً: ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾ طه، 40.
- 5- وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ الفرقان 45.

6- وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ﴾ سبأ، 14.

7- وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ سبأ، 07.

إن ما يمكن ملاحظته في هذه الآيات الكريمة، هو اشتراك لفظة " دل " في معنى الإرشاد والتوجيه، وهو المعنى ذاته الذي اتفقت عليه المعاجم العربية⁽¹⁹⁾.

اصطلاحاً :

أما الدلالة اصطلاحاً فقد عرّفها " الراغب الأصفهاني " بقوله: " الدلالة هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي "⁽²⁰⁾.

أما " الشريف الجرجاني " فقد وضعها بقوله: " هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، فالشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول "⁽²¹⁾.

إن أول ما يقال على هذين التعريفين أنهما بلغا الغاية في الدقة؛ لأن التعريف الأول، راعى فيه صاحبه شرط القصدية نظراً لأهميتها البالغة في تحديد المعنى وتقريره، وبالتالي تجنب الاحتمالات التي توقع المتلقي في متاهات لا طائل من وراءها، بالإضافة إلى ذلك نلاحظ في تعريف الراغب التصريح بدلالة الألفاظ على المعاني، وهي الدلالة اللغوية. كما لم يفته التنبيه إلى وجود دلالة أخرى غير لغوية مثل الإشارة والرمز وغيرهما، وكلها لا تخرج عن مفهوم الدلالة التي يتواصل بها الإنسان.

أما تعريف الشريف الجرجاني فقد جاء مطلقاً، كونه اكتفى فيه بذكر عناصر الدلالة بوجه عام، ولم يميز بين الدلالة اللغوية وغير اللغوية، والمبرر في ذلك هو أن لفظي الدال والمدلول لا يختصان بالدلالة اللغوية وحدها، بل يشملها كما يشمل الدلالة غير اللغوية، لذا نجده استعمل كلمة " الشيء " التي يفهم منها الإطلاق.

ومن جانب آخر، يمكن أن نستخلص بأن الدلالة المعينة في هذين التعريفين ليست هي علم الدلالة الحديث أو ما يعرف بـ " La Sémantique "، وإنما المراد بالدلالة ما لا يمكن أن يتجسد إلا بحضور مكوناته الأساسية أو العناصر الضرورية التي تتشكل منها الدلالة، وهي: الدال، والمدلول عموماً، بالإضافة إلى العلاقة التي تربط بينهما بغض النظر عن طبيعتهما، وهو ما نجده بصورة واضحة جداً في الفكر اللساني الغربي الحديث بوجه عام⁽²²⁾، وعند أهم التيارات الدلالية المعاصرة التي ركزت على دراسة المعنى وتجلياته في الخطابات، بوجه خاص. مثال ذلك النظرية السيميائية الفرنسية بزعامة " جوليان غريماس J. Griemas " الذي جعل " المجموع الدلالي " مصطلحاً دالاً على مكونات الدلالة وهي الدال، والمدلول، والعلاقة بينهما⁽²³⁾.

بالموازاة نجد أزيلد وتريفان قد أوضحا معنى الدلالة بقولهما: " ... يمكن أن نعرف الدلالة على أنها كيان، يمكن أن يصير محسوساً ويشير بذاته بالنسبة لمجموع مستعمليه إلى أمر غائب، وجزء العلامة الذي يمكن أن يصير محسوساً يسمى - منذ دراسة دي سوسير - بالدال، والجزء الغائب بالمدلول ونسبي العلاقة التي تربط بينهما بالدلالة "⁽²⁴⁾.

4.1 مفهوم التفرع الدلالي :

انطلاقاً مما تقدم من مفاهيم يمكن استخلاص مفهوم للتفرع الدلالي، فهو انحدار المعاني المختلفة من معنى المادة اللغوية الذي يجمع استعمالاتها، حيث تبقى تلك المعاني محتفظة بما يربطها بالدلالة الأصل مهما اختلفت السياقات.

2. التفريع الدلالي في الفكر اللغوي العربي :

تنبّه بعض علماء اللغة العرب إلى فكرة أن لكل مادة اشتقاقية من مواد العربية أصل معنوي يجمع استعمالاتها. ويمكننا تقديم نماذج تمثيلية على النحو الآتي:

• قول " شمر بن حمدويه " (ت 255 هـ) : " كل ما ذكر أبو زيد في الكتب قريب بعضه من بعض وإنما هو جمعك بين الشيئين ⁽²⁵⁾ ".

فهو بهذا القول يوضح أن معاني استعمالات مادة (كتب) متقاربة تجمعها دلالة واحدة هي " الجمع بين الشيئين " .

• قول " الزجاجي " في شرحه اشتقاق اسم الله (الحكيم) فبعد أن وضع المعنى الأصل الذي جمع استعمالات المادة، قال : " وكذلك سائر ما يتشعب من هذا إنما أصله هذا، ثم يتسع في مقاربه وجنسه، وكذلك أكثر كلام العرب إنما له أصل منه تشعبه، ثم يستعمل في أشياء مقاربة له ومجانسة ⁽²⁶⁾ "، مستشهداً بقول " أبي العباس المبرد " : " كلام العرب إذا تقاربت ألفاظه فبعضه أخذ برقاب بعض ⁽²⁷⁾ "، فقول " المبرد " هو تصريح بوجود ترابط بين المعاني الفرعية لاستعمالات المادة الاشتقاقية وهذا الترابط يؤدي إلى تحقق الدلالة الأصل فيها، لذا اعتمد " الزجاجي " قول " المبرد " ليؤكد ما قاله عن وجود هذه الفكرة في أكثر كلام العرب.

• قول ابن قتيبة : " أصل الظلم في كلام العرب : وضع الشيء في غير موضعه. ويقال : من أشبه أباه فما ظلم، أي فما وضع الشبه في غير موضعه. وظلم السقاء : هو أن يشرب قبل إدراكه. وظلم الجزور : أن يُعْتَبَط، أي يُنَحَرَ، من غير علة. وأرض مظلومة : أي حُفِرَتْ وليست موضع حفر... ثم قد يصير الظلم بمعنى الشرك، لأن من جعل لله شريكاً : فقد وضع الربوبية غير موضعها، يقول الله سبحانه : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ⁽²⁸⁾ وقال : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ ⁽²⁹⁾، أي : بشرك.

و يكون الظلم : النقصان : قال الله تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ⁽³⁰⁾ أي ما نقصونا ... ويكون الظلم : الجحد : قال الله تعالى : ﴿وَأَتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ ⁽³¹⁾ أي جحدوا بأنها من الله تعالى ⁽³²⁾ .

* لقد نصّ " ابن قتيبة " على الدلالة الأصل للمادة (ظلم) وهي وضع الشيء في غير موضعه ⁽³³⁾ ثم ذكر استعمالات هذه المادة وما تفرع عن تلك الدلالة من معان فأورد معنى الشرك وعلل ذلك بأنه وضع الربوبية في غير موضعها، وذكر معنى النقصان ومعنى الجحد دون أن يفسر تفرع هذين المعنيين عن الدلالة الأصل. ولقد ذكر في موضع آخر معنى القضاء وجعل أصل قضى حتم ⁽³⁴⁾، ثم أورد ما يمكن أن يتفرع عن هذا الأصل من معان وصرح في الأخير بأن هذه الفروع ترجع إلى أصل واحد فقال : " وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد ⁽³⁵⁾ "، وهذا القول يثبت تفرع المعاني في ضوء التفريع الدلالي.

• قول كراع النمل : " و الوقع : أصله الأثر، يقال وقعت الحديد وقعا : إذا ضربتها بالميقعة وهي المطرقة، و منه قيل : طريق مَوْقَع : مُدَلِّلٌ مَوْطُوءٌ، و منه وَقَعَتِ القتال لأنار الناس بها و أثار الدم ... وكذلك وَقِيعَةُ الطائر و مَوْقِعَتُهُ : حيث يقع. سُبِّيَ بذلك لما فيه من أثر ذرقه، و وقوع الإنسان بالمكان : أثره به، و منه التوقيع في الكتاب تفعيل منه، لأنه يخالف الكلام الأول ... ويقال كويته وَقَاعٌ وهي كية في الرأس سُمِّيت بذلك لأثر الكي، ويقال هذا شيء له وَقَعٌ : أي أثر باق، وقد حسن مَوْقِعُهُ مني، أي أثره ⁽³⁶⁾ .

* وقف " كراع النمل " على الدلالة الأصل للمادة (وقع) و عَيَّنَهَا نصّاً بأنها الأثر ثم عالج استعمالات هذه المادة و معانيها في ضوء تلك الدلالة، كضرب الحديد بالمطرقة فتترك الأثر و كتذليل الطريق و توطئته ليسهل المشي عليه،

وللمشي آثار على الطريق، و كالقتال الذي تكثر فيه آثار الناس به و آثار الدم كذلك، و كمكان وقوع الطائر أو الإنسان، و الكيئة في الرأس سُمِّيَتْ وَقَاعٌ لِأثر الكي.

• قول " ابن فارس " : " (بث) : الباء و الثاء أصل واحد، و هو تفريق الشيء و إظهاره، يقال : بثوا الخيل في الغارة، و بث الصياد كلابه على الصيد ... و الله تعالى خلق الخلق و بثهم في الأرض لمعاشهم ... و بثت الحديث أي نشرته. و أما البث من الحزن فمن ذلك أيضا، لأنه شيء يُشْتكى و يُبَثّ و يظهر ... " (37).

* بدأ " ابن فارس " شرح المادة (بث) بذكر دلالتها الأصل و عينها ذاكرا أنها تفريق الشيء و إظهاره و فسّر في ضوءها معاني استعمالها المتفرعة عنها، كما في تفريق الخيل في الغارات و تفريق الصياد كلابه على الصيد، و كنشر الحديث و نشر الخلق على الأرض لطلب العيش، و كالحزن لأنه شيء يُبَثّ و يظهر.

و للإشارة، فقد اعتمد ابن فارس على ذكر الدلالة الأصل في أغلب مواد معجمه و فسّر في ضوءها استعمالات كل مادة.

و قال في معجمه (مجل اللغة) : " أكل : أكلت الشيء أكلا. و حقيقة الأكل التَنَقُّص، يقال : تَأَكَّلَ السِّنُّ و غيره، و أَكَلَتِ النار الحطب، و الأكلة : المرة الواحدة. و الأكلة هي اللقمة ... و ناقة بها أكال و أكال، إذا نبت الشعر في بطنها على الولد فتأكل جسدها، أي احتك ... و ذوو الآكال : سادة الأحياء الذين يأخذون المرباع و غيره " (38).

فابن فارس ذكر أنّ الدلالة الأصل للمادة (أكل) هي التَنَقُّص، ثم عالج الاستعمالات المصوغة من هذه المادة في ضوء تلك الدلالة، فتأكل السن هو تنقص لحجمه و شكله، و احتراق الحطب ينقص من حجمه. و احتكاك جسد الناقة هو تنقص الشعر من جسدها.

• قول " الأصمعي " : " الصَّلَتان : من الانصلات، و هو الانجراد من الغمد، و في السير، يقال : مرّ منصلتا، إذا مرّ مرّا سريعا. و قال أعشى باهلة :

طَاوِي الْمَصِيرَ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْصَلِتٌ بِالْقَوْمِ لَيْلَةً لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ

و يقال للعقاب، إذا هي انقضت : انْصَلَتَتْ منقضّة، و يقال سيف صَلَتْ : إذا جُرِدَ من غمده. و قد أصَلَتْ سيفه. و يقال رجل صَلَتْ الجبين : إذا كان منكشف الشعر بارزا " (39).

* فمعالجة " الأصمعي " لهذه الاستعمالات توحى بالدلالة الأصل للمادة (صلت) و هي التجرد من الشيء و بروزه (40)، كتجرّد السيف من الغمد، و الانصلات في السير هو تجرد السائر مما يحيط به، و انصلات العقاب كذلك تجرد مما يحيط بها أثناء انقضاضها على فريستها، و جبين صَلَتْ أي مُجَرَّد من الشعر بارز.

• قول " أبي زيد الأنصاري " : " و قالوا رفأت الرجل ترفئة إذا قلت له بالرفاء و البنين حين يتزوج فتدعوه له. و رفأت الثوب أرفؤه رفاً. و قال بعضهم : أرفيت الثوب أرفيه رفيا على التحويل ... قال أبو الحسن قولهم رفأت الثوب يريدون به جمعت بعضا إلى بعض. فإذا دعوا للبانى على أهله فقالوا بالرفاء و البنين فإنما يريدون به جمع الشمل " (41).

* شرح " أبو زيد الأنصاري " استعمالين للمادة (رفأ) شرحا مؤداه أن الدلالة الأصل لها هي الجمع بين شيئين و الموافقة بينهما (42)، كضم الثوب بعضه إلى بعض و كالجمع بين الزوجين و الموافقة بينهما.

• قول " أبي عبيد " في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " لي خمسة أسماء : أنا محمد، وأحمد، و الماحي : يمحو الله بي الكفر، و الحاشر : أحشر الناس على قدمي، و العاقب "(43). قال يزيد : فسألت " سفيان " عن العاقب ؟ فقال : آخر الأنبياء.

قال أبو عبيد : و كذلك كل شيء خلف بعد شيء فهو عاقب له. و قد عَقِبَ يَعْقِبُ عَقْبًا و عُقُوبًا، و لهذا قيل لولد الرجل بعده : هو عَقْبُهُ. و كذلك آخر كل شيء عَقْبُهُ. و منه حديث " عمر " - رحمه الله - : أنه سافر في عَقِبِ رمضان، فقال : " إن الشهر قد تسعسع، فلو صمنا بقيته ". قال الأصمعي : يقال : فرس ذو عَقَبٍ : إذا كان باقي الجري. و كذلك العاقبة من كل شيء آخره، و هي عواقب الأمور. قال أبو عبيد : و يروى عن " أبي حازم " أنه قال : " ليس لملول صديق، و لا حسود غنى، و النظر في العواقب تلقيح للعقول "(44).

* قدّم " أبو عبيد " استعمالات للمادة (عقب) و شرحها شرحا مفاده أن الدلالة الأصل لها هي تأخير شيء و إتيانه بعد غيره⁽⁴⁵⁾، كالابن يعقب أباه، فهو متأخر عنه و يأتي بعده، و كآخر الشهر فهو عقبه، و كالفرس إذا كان باقي الجري، كأن ذلك الجري المتواصل فيه تعاقب.

• قول " ابن السكيت " : " قال أبو عمرو : الإمحاق : أن يهلك كُمَحَاقِ الهلال، و أنشد :

أَبُولُكَ الَّذِي يَطُوي أُنُوفَ عُنُوقِهِ بِأَطْفَارِهِ حَتَّى أَنَسَ وَ أَمَحَقَا

أَنَسَ يَنَسُّ أَي بلغ نَسِيسَ الموت. قال الأصمعي : يقال : جاءنا في مَاحِقِ الصَّيْفِ، أي في شِدَّةِ حرِّه. قال ساعدة بن جويّة :

ظَلَلْتُ صَوَافِنَ بِالْأَرْزَانِ صَادِيَةً فِي مَاحِقِ مِنْ نَهَارِ الصَّيْفِ مُحْتَدِمَ

و يقال : يوم مَاحِقٍ، إذا كان شديد الحرّ، أي إنه يَمَحُقُ كُلَّ شيءٍ و يحرقه. و قد مَحَقْتُ الشيءَ أَمَحَقُهُ مَحَقًا "(46).

* شرح " ابن السكيت " المادة (محق) و استعمالاتها المختلفة، فذكر محاق الهلال وهو ذهابه، و ماحق الصيف و يوم ماحق أي شدة حره التي تؤدي إلى هلاك كل شيء و إحراقه، فهذه الاستعمالات بمعانيها توحى بالدلالة الأصل لهذه المادة وهي ذهاب الشيء و هلاكه⁽⁴⁷⁾.

• قول " أبي الحاتم الرازي " في شرح اسم الله " الحكيم " : " و قال غيره : فالله سبحانه و تعالى سمى نفسه حكيما، لأنه أحكم ما خلق، فلم يَفْتَهُ شيء، و لم يكن فيه خلل، و لم يعجزه شيء من لطيف الخلق و جليله و لم يدع شيئا مما ينبغي أن يكون مخلوقا إلا خلقه بحكمته، و منع بعضه أن يفسد بعضا ... و يقال في كلام العرب : أحكمت الشيء، أي استوثقت منه و منعت أن يفسد؛ و أحكمت البناء، أي بنيته بناء لا يتداعى، و يقال : أحكمت الرجل عن الشيء، إذا منعت عنه. و يقال : أحكمت الغلام أحكمه، أي منعت عن الفساد ... و منه سميت " حكمة اللجام " لأنها تمنع الدابة، و الحاكم يحكم بالشيء، فيمنع الناس من الظلم.

و قيل للرجل " حكيم ". قالوا : و لا يسمى حكيما حتى يجمع العلم و العمل، كأنّ علمه منعه من المعاصي "(48).

* شرح " أبو الحاتم الرازي " اسم الله تعالى : " الحكيم " و بين معناه الاصطلاحي ثم أتبع ذلك بذكر معاني بعض استعمالات المادة " حكم " التي توحى بالدلالة الأصل وهي المنع⁽⁴⁹⁾؛ كما في منع الغلام أي الشيء من الفساد، و في البناء فيمنع من السقوط، و حكمة اللجام لأنها تمنع الدابة، و الذي يحكم بالشيء فيمنع الناس من الظلم، و

الرجل يوصف بالحكيم إذا جمع بين العلم والعمل، فيكون علمه مانعا له من ارتكاب المعاصي، وهذه كلها معان تفرعت عن المعنى الأصل.

إنّ ما يمكن استخلاصه من خلال ما تقدم من أمثلة أن علماء العرب اعتمدوا في الكثير من مؤلفاتهم و خاصة أثناء معالجتهم للكثير من مواد اللغة على التفرع الدلالي، وذلك بإرجاع المعاني الفرعية إلى معنى أصل يجمع استعمالات المادة الاشتقاقية، كما يمكن أن ننبّه إلى أن تعاملهم مع المواد الاشتقاقية كان من منطلق فكرة وجود أصل دلالي ترجع إليه الدلالات الفرعية وهذه الفكرة إما أن يصحّح بها بعض العلماء كالشمر بن حمدويه والزجاجي، وإما أن تستخلص من طريقة معالجتهم للمواد اللغوية كما لمسنا ذلك عند كل من ابن قتيبة و كراع النمل و غيرهما.

الهوامش:

- (¹) تاج العروس، الزبيدي، 27 : 452، ومختار الصحاح، الرازي، 21.
- (²) لسان العرب، ابن منظور، 2 : 89.
- (³) الورقات في أصول الفقه، أبو إسحاق الجويني، 17.
- (⁴) ينظر: تيسير المهمات في شرح الورقات، أحمد إدريس عبده، 02. وينظر أيضا : حاشية الديمياني على شرح المحلي للورقات، الدمياني، 31.
- (⁵) ينظر: تيسير المهمات في شرح الورقات، أحمد إدريس عبده، 03.
- (⁶) ينظر م ن، 03.
- (⁷) ينظر: في أصول النحو، صالح بلعيد، 27، 28.
- (⁸) ينظر: تيسير المهمات في شرح الورقات، أحمد إدريس عبده، 03.
- (⁹) مختار الصحاح، الرازي، 245، ومقاييس اللغة، ابن فارس، 4 : 491.
- (¹⁰) التعريفات، الجرجاني، 172.
- (¹¹) لسان العرب، ابن منظور، 38 : 3393، 3394، والصحاح، الجوهري، 3 : 1256، 1258.
- (¹²) المعجم الوسيط، 684.
- (¹³) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، 2 : 1296.
- (¹⁴) التعريفات، الجرجاني، 65.
- (¹⁵) اللسان (د.ل.ل)، 17 : 1414.
- (¹⁶) طوابع الأنوار من مطالع الأنظار، القاضي البيضاوي، تح : عباس سليمان، 60.
- (¹⁷) الورقات في أصول الفقه، لأبي إسحاق الجويني، 18.
- (¹⁸) المعجم الوسيط، 294.
- (¹⁹) ينظر ذلك في : معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 2 : 259، مختار الصحاح، الرازي، 111، وتاج العروس ، الزبيدي، 28 : 498.
- (²⁰) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، 171.
- (²¹) التعريفات، الجرجاني، 109.
- (²²) ينظر على سبيل المثال لا الحصر:
- Cours de linguistique générale. F. De Saussure , 85, et Dictionnaire de linguistique. J. Dubois, 427, 428, 430, 431, 432, 433.

(²³) ينظر : Sémantique structurale A.J Griemas, 10, 11

(²⁴) أزول و تزيغان، الدلالة والمرجع دراسة معجمية، ضمن كتاب : المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تر: عبد القادر قنيني،

- (²⁵) تهذيب اللغة، الأزهري، 10 : 150.
- (²⁶) اشتقاق أسماء الله، الزجاجي، 61.
- (²⁷) م ن، 61، 62.
- (²⁸) سورة لقمان، آية : 56.
- (²⁹) سورة الأنعام، آية : 82.
- (³⁰) سورة ، البقرة آية : 57.
- (³¹) سورة الإسراء، آية : 59.
- (³²) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، 467، 468، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 31 : 2756، 2757، 2758.
- (³³) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 3: 468.
- (³⁴) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، 441.
- (³⁵) م ن، 442.
- (³⁶) المنتخب من غريب كلام العرب، كراع النمل، 2 : 663، 664 وينظر: الصحاح، الجوهري، 3 : 1303.
- (³⁷) مقاييس اللغة، لابن فارس، 1 : 172، وينظر: لسان العرب، لابن منظور، 1 : 208.
- (³⁸) مجمل اللغة، ابن فارس، 1 : 100.
- (³⁹) اشتقاق الأسماء، الأصمعي، 74، 75، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 28 : 2478، 2479.
- (⁴⁰) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 3 : 302.
- (⁴¹) النوادر في اللغة، الأنصاري، 510، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 19 : 1685، 1686.
- (⁴²) ينظر: مقاييس اللغة، 2 : 420.
- (⁴³) الموطأ، الإمام مالك، 588 (الحديث : 1844).
- (⁴⁴) غريب الحديث، أبو عبيد، 1 : 407، 408، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 34 : 3022، 3023، 3024.
- (⁴⁵) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 4 : 77.
- (⁴⁶) إصلاح المنطق، ابن السكيت، 1 : 278، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 46 : 4146، 4147.
- (⁴⁷) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 5 : 301.
- (⁴⁸) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، الرازي، 2 : 273، 274، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 11 : 953.
- (⁴⁹) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 2 : 91.